

اللغة العربية في آسيا الوسطى

مظهر معين

تضم منطقة آسيا الوسطى خمساً من الدول المسلمة المستقلة التي انفصلت عن الاتحاد السوفياتي في ديسمبر ١٩٩١م أو قبل ذلك بأشهر — وهي أوزبكستان وتركمانيا وطاجيكستان وكرغيزيا وقزاقستان حسب الترتيب الأبجدي — ولا يزال يطلق على هذه المنطقة الواسعة اسم "تركستان الغربية" منذ قديم.

وتليها منطقة تركستان "الشرقية" ذات الأغلبية المسلمة التي كانت أعلنت استقلالها مرة عام ١٩٤٨م برئاسة حاكمها العام السيد مسعود صابري وباسم "الجمهورية الإسلامية في تركستان الشرقية" — وتعرف هذه المنطقة الواسعة الآن باسم "سنكيانج" بعد نجاح الثورة الشيوعية الصينية فيها سنة ١٩٤٩م وإعطائها مكانة المنطقة الصينية شبه المستقلة التي تتمتع بالحكم الذاتي — ولها حدود مشتركة مع كرجيزيا وطاجيكستان من دول آسيا الوسطى وتركستان الغربية كما أن لها اتصال جغرافي بباكستان في شمالها عبر شارع ريشم المعروف.

أما الدولة السادسة المستقلة من دول آسيا الوسطى فهي أفغانستان ذات الحدود المشتركة مع أوزبكستان وطاجيكستان وتركمانيا من ناحية وكذلك مع باكستان وإيران من ناحية أخرى.

والدولة السابعة من دول آسيا الوسطى هي باكستان التي تقع في حدودها الشمالية على بعد بضعة كيلومترات من حدود طاجيكستان إضافة إلى حدودها المشتركة مع جارتها أفغانستان وسنكيانج — وتعتبر عاصمتها إسلام آباد أقرب المراكز الدولية والاقليمية لعواصم الدول المذكورة التي تقع على مسافة الساعتين تقريباً عن طريق الجو من عواصم هذه الدول — وهي أرومجي (سنكيانج) وكابل (أفغانستان) وطاشقند (أوزبكستان) وعشق آباد (تركمانيا) ودوشنبه (طاجيكستان) وبشيك أو فروتري (كرغيزيا) وألما آتا (قزاخستان).

وتقع دولة إيران على تخوم تركمانيا وأفغانستان من دول آسيا الوسطى كما أن لها حدود مشتركة مع باكستان من ناحية و أذربيجان وتركيا من ناحية أخرى.

وكانت أذربيجان منطقة إيرانية بعيدة عن دول آسيا الوسطى السوفياتية ومرتبطة بها بواسطة جارتها إيران، فقسمت إلى شطرين بمؤامرة من الدول الكبرى بعد الحرب العالمية الأولى وضم أحد الشطرين منها إلى الاتحاد السوفياتي، فظهرت أذربيجان هذه كدولة مستقلة في أغسطس ١٩٩١م. ولايزال الشطر الثاني باقياً كوحدة إيرانية منذ أزمان بعيدة. ونجد فيها أغلبية الشيعة الإثني عشرية مثل

إيران وبخلاف جميع الدول المذكورة الأخرى ذات الأغلبية السنية الحنفية الممتدة من تركيا إلى تركستان الشرقية.

وبقيت دولة وحيدة بعيدة نسبياً عن دول آسيا الوسطى من الناحية الجغرافية ولكنها قريبة كل القرب من الناحية العرقية واللغوية والثقافية، وهي تركيا التي لها حدود مشتركة مع إيران المجاورة لتركمانيا وأفغانستان وباكستان من دول هذه المنطقة. وكذلك ترتبط تركيا بأذربيجان بواسطة إيران المجاورة لأذربيجان. فترجع أغلبية السكان في تركستان الغربية والشرقية وكذلك أذربيجان إلى أصل تركي. فالشعب التركستاني بأسره منحدر أصلاً من سلالة الأتراك. وتعتبر اللغات واللهجات المنطوقة والمكتوبة في هذه المنطقة من كتلة اللغات واللهجات التركية. وقد يطلق عليها اسم "اللغة التركستانية" التي تتضمن اللغة الكشغرية في "سنكيانج" وكذلك اللغة الأوزبكية والتركمانية والكرغيزية والقازاخية وتخرج عن نطاقها لغة وحيدة وهي اللغة الطاجيكية التي لا تختلف عن اللغة الفارسية - الأفغانية والإيرانية في كثير أو قليل. ويعتبر جميع هذه اللغة واللهجات مع اللغة الآذرية والتركية أشكالاً مختلفة للغة واحدة لاتزال منتشرة في منطقة واسعة ممتدة من تركيا وأذربيجان إلى تركستان الغربية والشرقية.

ويدل ذلك كله على أهمية تركيا الثقافية واللغوية والعرقية وغيرها بالنسبة للشعوب والأمم التركية الطورانية في آسيا الوسطى.

ولها الحق كل الحق أن تسود دول آسيا الوسطى وتقودها وتلعب دوراً هاماً فيها إذا استعدت لذلك.

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى حقيقة أن اللغة والثقافة التركية الإسلامية تتأثر بها مناطق المسلمين داخل الاتحاد الروسي أيضاً مثل تاتارستان وشيشن أنغوشيا وكرتشائي شركيسيا وكريما ثم جمهورية القبارصة الأتراك التي يتكلم شعبها هذه اللغة التركية نفسها. ويوجد ملايين المسلمين الأتراك الناطقين باللغة التركية في بلغاريا وألمانيا وبعض الدول الأوروبية الأخرى كما تتأثر باللغة والثقافة التركية أغلبية المسلمين في ألبانيا والبوسنة والهرسك وقصوفو ومونتي نيغرو ومقدونيا ورومانيا وغيرها من الدول والأقاليم الأوروبية التي اشتملت عليها الخلافة العثمانية العالمية لمدة قرون وحتى بداية القرن العشرين.

واللغة التركية — التي راج التحدث بها من مقدونيا الى

سيبيريا — تنقسم الى أربع لهجات رئيسية:

الف — لهجات الطائي الشرقية.

ب — لهجات الكرغيز والتتار الغربية.

ج — لهجات آسيا الوسطى.

د — اللهجات الجنوبية للتركمان وآذربيجان وناضولو

وكيريم وعثمان لى ترك جه سى. وينطق بهذه اللغة اكثر من

مائة وخمسين مليون نسمة وتختلف اللهجات التركية

المختلفة فيما بينها إختلافاً يسيراً بخلاف اللهجات الهندية، وخاصة الفرق بين اللهجات الجنوبية المختلفة يسيراً جداً^(١).

ويجب ألا ننسى جورجيا وأرمينيا من دول هذه المنطقة الواسعة واللذان تقعان بالقرب من تركيا وإيران وأذربيجان كمنطقتين هامتين من مناطق الخلافة الإسلامية منذ صدر الإسلام إلى عصرنا الحديث. ولا تحتاج هذه الحقيقة إلى البيان بأن اللغة العربية والثقافة الإسلامية المكونة من ثقافات العرب والفرس والأترك قد أثرتا في هاتين المنطقتين تأثيراً عميقاً. ولا يزال يعترف بذلك أهل العلم والبصيرة فيهما. ونكتفى هنا بمثال واحد وهو خير مثال يتعلق بأواخر الثمانينات من القرن العشرين.

"في جورجيا بالاتحاد السوفياتي بدأت منذ خمس سنوات تجربة تدريس اللغة العربية للطلاب منذ الصفوف الابتدائية، ويقول قسطنطين تسترتيلي صاحب الفكرة ومطبقها في مدينة تبيليسي ان دراسة اللغة العربية إبان السنوات الدراسية الجامعية دراسة متعمقة متعذرة، ولهذا قررنا بدء تدريسها منذ الصفوف الابتدائية ولكن حتى الآن بأسلوب تجريبي.

أما سبب الإهتمام الجيورجي باللغة العربية فعائد إلى علاقات هذه الجمهورية العريقة بالبلدان العربية. وفي اللغة الجيورجية كلمات كثيرة ذات أصل عربي اضافةً إلى أن عدداً كبيراً من المخطوطات هنا لا يمكن الإستفادة منها دون التعمق في دراسة اللغة العربية. هذا ويتم التدريس في الصف الأول الإبتدائي تشفيها - أما في الصف الثاني

فيدخل تعليم الأبجدية والقراءة والكتابة. وتأتي الأعوام التالية لإستكمال المعرفة بحيث يستطيع طلاب الصف الخامس التحدث بلغة عربية صحيحة وينشدون أغاني عربية ويحفظون قصائد من الشعر" (٢).

وكل هذا يدل على مدى تأثير اللغة والثقافة التركية مع تأثير اللغة العربية وأبجديتها في هذه المناطق.

ونستطيع الآن أن نقول إن منطقة آسيا الوسطى بمفهومها الواسع تضم تركستان الشرقية والغربية وأفغانستان وباكستان وإيران وأذربيجان وتركيا لا أقل من ذلك. وكيف لا؟ إذا اعتبرنا باكستان المجاورة لدول آسيا الوسطى والشرق الأوسط دولة من دول آسيا الجنوبية وجعلنا بنغلاديش الواقعة في جنوب شرق آسيا من دول آسيا الجنوبية مع باكستان فالدول المجاورة لتركستان أجدد أن تعتبر من دول آسيا الوسطى التي هي منطقة واسعة ممتدة من تركستان الشرقية والغربية إلى إيران وأذربيجان وتركيا. وتحققت هذه الفكرة لما دخلت أفغانستان والدول الست المسلمة المنفصلة عن الاتحاد السوفياتي منظمة التعاون الأقليمي (ECO) بُعيد استقلالها، فصارت مع باكستان وإيران وتركيا أعضائها حتى بلغ عدد الدول الأعضاء فيها إلى عشر دول، وهي تركيا وأذربيجان وإيران وأفغانستان وباكستان وأوزبكستان وتركمانيا وطاجيكستان وكرغيزيا وقزاقستان.

وتكفي هنا الإشارة الى أن مساحة الدول الخمس في تركستان الغربية التي انفصلت عن الاتحاد السوفياتي أخيراً تقارب

أربعة ملايين كليومتراً مربعاً كما يقارب عدد سكانها خمسين مليون نسمة بأغلبية المسلمين في كل دولة منها.

وتزيد مساحة تركستان الشرقية أو سنكيانج على مليون ونصف مليون كليومتر مربع. وهناك خلافات كثيرة في عدد سكانها وعدد المسلمين منها. ولكن تتفق المصادر الأجنبية والمحلية على أن المسلمين لا يزالون يشكلون أغلبية السكان في سنكيانج ولو انخفضت نسبتهم المئوية لمحاولات محوهم عبر العصور ولسبب الملايين الوافدين إليها من الصينيين المنتمين إلى سلالة "هان" بعد نجاح الثورة الشيوعية في عام ١٩٤٩م واستيطانهم سنكيانج لأسباب اقتصادية وثقافية مختلفة.

أما مساحة البلاد الخمسة الأخرى — باكستان وأفغانستان وإيران وأذربيجان وتركيا — فيقارب أربعة ملايين كليومتراً مربعاً من حيث المجموع، كما يزيد مجموع سكانها على مائتين وخمسين مليون نسمة. ويبلغ بذلك عدد السكان في هذه البلاد العشرة المذكورة إلى ثلاث مائة مليون نسمة، كما يقارب مجموع مساحتها ثمانية ملايين كليومتراً مربعاً علاوة على تركستان الشرقية أو سنكيانج.

ولا يخفى على أحد أن اللغة العربية مازالت سائدة في هذه المنطقة الواسعة كلغة دينية ورسمية ثم علمية وأدبية مشتركة منذ دخول الإسلام إليها بعد سلسلة الفتوح الإسلامية التي ترجع إلى العصر الفاروقي والعثماني والأموي في القرن الأول للهجرة. فكانت

اللغة العربية لغة سائدة في بلاد الروم وفارس وما وراء النهر وتركستان وكذلك في أفغانستان ثم المناطق الباكستانية الممتدة من مكران والسند إلى ولاية ملتان بعد فتح السند على يد محمد بن القاسم الثقفي سنة ٧١٢م. وكذلك سادت اللغة العربية في المنطقة الممتدة من لاهور إلى بيشاور وحدود كشمير. وقد تم ذلك الى عام ١٠٣٣م بعد أن ضم الملك محمود ولاية بنجاب إلى سلطنة غزني في أفغانستان^(٣).

وبقيت اللغة العربية سائدة كلغة دينية ورسمية وعلمية وأدبية مشتركة في هذه المنطقة الممتدة من قسطنطينية إلى كشمير لأكثر من ألف سنة إلى بداية القرن العشرين. وكانت تحتل مكانة خاصة في قلوب المسلمين كلغة القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام ولغة العلوم والمعارف الإسلامية والعامة مع كونها لغة الارتباط بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من ناحية وبين مسلمي هذه المنطقة الناطقين باللغات المحلية المختلفة من ناحية أخرى. ثم استخدمت اللغات الاقليمية وعلى رأسها اللغة الفارسية والتركية في المجالات الرسمية والعلمية بعد حقبة من الزمان مع الإحتفاظ بمكانة اللغة العربية جنباً إلى جنب مع اللغات الأخرى.

فلذلك نجد المؤلفات العربية في هذه المنطقة بكثرة. ولا نجد أحداً من المثقفين المسلمين فيها لا يتقن اللغة العربية الدينية والعالمية طوال قرون عديدة. ولم يكن يتصور أحد أن يهمل تعلم اللغة العربية إذا أراد أن يكون عالماً ومتحضراً ومثقفاً. والأمة

الاسلامية مدينة لمؤلفي هذه المنطقة الواسعة وعلمائها الذين حافظوا على علوم القرآن والحديث والفقه والتصوف واللغة والأدب المنظوم والمنثور - وقدموا مؤلفات عربية قيمة لا في المواضيع الدينية فقط بل في العلوم التجريبية والاجتماعية مثل الطبيعيات والكيمياء والطب والفلك والنجوم والفلسفة والاقتصاد وغير ذلك. وعلى سبيل المثال لا الحصر نكتفي بالذكر أسماء الإمام البخاري ومسلم النيسابوري وأبى داؤد السجستاني والترمذي والنسائي وابن ماجه القزويني والشيخ على بن عثمان الهجويري وبهاء الدين النقشبندي وقطب الدين مودود الجشتي وأبى حامد الغزالي وجلال الدين الرومي وابن المقفع والجاحظ وأبى الريحان البيروني والخوارزمي وابن سينا ومسعود سعد سلمان اللاهوري وغيرهم ممن لا يأتي عليهم الإحصاء.

ويدل على إعتناء العلماء والمثقفين باللغة العربية وعلومها في آسيا الوسطى وما يليها وجود الآلاف من المخطوطات العربية في هذه المنطقة الواسعة مع إبقاء اللغة العربية كلغة رسمية وشائعة بين الشعب في البلدان النائية مثل داغستان في روسيا التي حافظت على اللغة العربية كلغتها الرسمية حتى بعد نجاح الثورة الشيوعية فيها حتى عام ١٩٣٨م^(٤) ولم تكن العربية لغة الشعب الأم ولكنها كانت لغة الدين والثقافة والأمة. فعرفت داغستان النائية في تلك البيئة الأوروبية بهويتها العربية وحركتها الإسلامية ودماؤها المهراقة بقيادة مجاهدها الفريد الإمام شامل رحمه الله تعالى.

وإضافة الى وجود مستقل للغة العربية في المجالات الدينية والرسمية والعلمية المختلفة فقد ظهر تأثيرها العميق في جميع اللغات واللهجات الاقليمية والمحلية التي اختارت أبجديتها بعد انتشار الاسلام في هذه المنطقة طوعاً لا كرهاً. ودخلتها المفردات والكلمات والمصطلحات العربية بكثرة حتى صارت اللغات واللهجات ممتزجة مع اللغة العربية إلى حد كبير. ولا يزال أكثر المفردات في أغلبية لغات هذه المنطقة الواسعة ترجع إلى أصل عربي. كما لا تزال أغلبية هذه اللغات مكتوبة بالأبجدية العربية إلى عصرنا الحديث، ومنها اللغة الفارسية والأردية والبنجابية والسندية والبشتوية والبلوجية والكشميرية والشنائية والبلتية والكردية والآذرية الإيرانية والكشغرية وغيرها.

وكانت الأبجدية العربية أبجدية المسلمين الأتراك لكتابة لغاتهم منذ أن طلعت شمس الاسلام في آسيا وأبدال أورال والقفقاز وغيرها من المناطق الخاضعة لروسيا فيما بعد. فكان تراثهم العلمي والأدبي العظيم مخطوطاً بالخط العربي كما كان هذا الخط وسيلة الارتباط بماضيهم، وكذلك ربطهم هذا الخط بإخوانهم المسلمين في جميع انحاء العالم حضارة وثقافة.

ولعب هذا الخط دوراً هاماً في ارتباط الأتراك بالشعوب الاسلامية الأخرى من ناحية وفي إعطائهم وحدة علمية وفكرية عظيمة من ناحية أخرى.

وكذلك كان الخط العربي خطأً للغتهم الدينية الذي استخدم
 لكتابة القرآن الكريم والأحاديث النبوية والكتب الدينية الأخرى.
 وأدى ذلك الخط إلى ترسيخ المشاعر الدينية في قلوب المسلمين
 الأتراك وأذهانهم^(٥).

أما ما حدث للغة العربية وأبجديتها في بلاد الأتراك الممتدة
 من تركيا وأذربيجان إلى تركستان الغربية والشرقية في بداية القرن
 العشرين فليس بخاف على أهل العلم والمعرفة. فمنعت اللغة العربية
 وأبجديتها في هذه المنطقة الواسعة بعد ثلاثة عشر قرناً. فوافق
 الحزب الشيوعي المركزي في موسكو على قرار سنة ١٩٢٦م
 والذي كان يوصي بإلغاء الأبجدية العربية لكتابة لغات المسلمين
 واستبدالها بالأبجدية اللاتينية^(٦). وكذلك منعت اللغة العربية والتعليم
 الاسلامي رسمياً أو فعلاً بعد سيطرة الشيوعيين الروس على آسيا
 الوسطى.

وانتهجت دولة تركيا نفس الخط بعد إلغاء الخلافة العثمانية
 سنة ١٩٢٣م فاستبدلت الأبجدية العربية بالأبجدية اللاتينية مع منع
 تعليم اللغة العربية للضرورات الدينية أو العامة.

فلما علمت الحكومة السوفياتية بإجراءات الحكومة التركية
 بهذا الصدد انتقلت إلى الأبجدية الروسية لكتابة اللغات التركستانية
 بعد بضع سنين، وذلك ربما لقطع الرابطة الكتابية بين شعبها والشعب
 التركي داخل تركيا إلى أقصى حد مستطاع.

واستبدلت الأبجدية العربية بالأبجدية الصينية (فين ين) لكتابة اللغة التركية الكشغرية بعد نجاح الثورة الشيوعية الصينية في تركستان الشرقية أو سنكيانج عام ١٩٤٩م. وكذلك منعت اللغة العربية وتعليمها للحاجات الدينية والعامّة.

ونستطيع أن نلخص بعض النتائج لهذه العملية اللغوية — الثقافية عند العلماء والباحثين في النقاط الآتية:

(١) انقطاع الصلة بين المسلمين الأتراك واللغة العربية — لغة القرآن والحديث ولغة العبادات والعلوم الإسلامية المتنوعة — ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى انقطعت علاقتهم بإخوانهم المسلمين الناطقين باللغة العربية في مشارق الأرض ومغاربها لاسيما الدول المجاورة والنائية في الشرق الأوسط والقارة الأفريقية.

(٢) انقطاع الصلة بين اللغة العربية ولغات الأتراك بعد استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية والروسية والصينية مع منع التعليم الغربي. وكانت هذه اللغة متضمنة لآلاف من الكلمات والمفردات العربية فحرمت من قواعدها وضبط مخارجها. ويعنى ذلك أن اللغات الغربية قد حرمت من أساسها الكلاسيكي اللسان اليوناني واللاتيني، فضعفت هذه اللغات من الناحية اللغوية عند كثير من الباحثين كما ابتعدت عن اللغة العربية وأبجديتها مع ابتعادها عن الفارسية والأردية وغيرهما من اللغات الكبرى المكتوبة بالأبجدية العربية والغنية بالمفردات العربية لا في الدول المجاورة فقط بل في العالم الإسلامي بأسره. فصعب على المسلمين الأتراك تعلم هذه اللغات لتغاير

الأبجديات كما صعبت عليهم قراءة القرآن بالأبجدية العربية وفهم كلماته إلى حد كبير.

(٣) حدوث انقطاع بين تراث الماضي والحاضر — فكانت اللغة التركية أو التركستانية بلهجاتها المختلفة غنية بآلاف المؤلفات والمخطوطات التركية المكتوبة بالحروف العربية في جميع المجالات العلمية والأدبية المحيطة بأكثر من ألف سنة فأصبحت انتاجات أكثر من ألف سنة بضاعة أجنبية تماما للأجيال الناشئة والقادمة بعد الربع الأول من القرن العشرين كما صارت معظمها غير منقولة الى الأبجدية الجديدة.

فيا لها من خسارة وما أكبرها! فالأمة التركية والتركستانية لاتستطيع أن تقرأ ما ألف آباؤها عبر القرون والعصور بلغات الأتراك ولهجاتهم، ومن فعل ذلك بماضيه فماذا يتوقع من التاريخ ان يفعل به! والتاريخ يعيد نفسه. فكان من واجب هذه الأمة التركية والتركستانية ان تحمل عبء مسئوليتها التاريخية وتنقل كل جزء من أجزاء تراثها العلمي الى الأبجدية الجديدة حتى تستغني عن الأبجدية الكلاسيكية وتأثيرها العميق في لغتها فلم تستطع ذلك الا قليلا. ولن يتم ذلك أبداً لتكاثر التراث وتنوعه. وكان البديل الثاني لها أن تبقى الأبجدية القديمة كأبجدية لغاتها الثانية وتدخل تعليمها مع تعليم القواعد العربية في أنظمتها التعليمية ضمن مادة اللغة التركية أو التركستانية الجديدة كجزء تاريخي صغير، حتى لا يضيع تراث القرون الماضية، وذلك مع تفضيل الهوية الجديدة للغات الأتراك

وأبجدياتها. ولكن الظروف المعادية لم تسمح بذلك وأسبابها معروفة في كل من تركيا وتركستان الغربية السوفياتية والشرقية الصينية.

(٤) ولم يكن أقل من ذلك خسراناً انقطاع الصلة بين الأتراك الناطقين باللغة التركية ولهجاتها في تركيا وأذربيجان السوفياتية والإيرانية وفي تركستان الغربية الروسية والشرقية الصينية.

أ- فصارت اللغة التركية مكتوبة بالأبجدية اللاتينية في تركيا وقبرص بعد الربع الأول من القرن العشرين.

ب- ومازالت اللغة الآذرية مكتوبة بالحروف في أذربيجان الإيرانية كما صارت مكتوبة بالأبجدية الروسية في أذربيجان السوفياتية.

ج- وصارت اللغات واللهجات التركية في تركستان الغربية السوفياتية مكتوبة بالحروف اللاتينية أولاً والروسية أخيراً بعد ثورة ١٩١٧م.

د- أصبحت اللغة التركية الكشغرية تكتب بالحروف الصينية في تركستان الشرقية الصينية أو سنكيانج بعد ثورة ١٩٤٩م الشيوعية.

هـ- جعلت اللغة الروسية لغة الحكومة والتعليم مع فرضها كمادة إجبارية في جميع مراحل التعليم بالاتحاد السوفياتي بما فيها جمهوريات المسلمين الأتراك في آسيا الوسطى، كما جعلت اللغة الصينية لغة سنكيانج الرسمية مثل سائر الصين الشعبية مع اعتبارها مادة إجبارية ولغة التدريس في مختلف مراحل التعليم. وكذلك كانت اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية من اللغات التي كان

يجب على الطالب اختيار إحداها في التعليم الثانوي بتركيا - وكل ذلك أدى إلى تقريب لغات الأتراك إلى اللغة الصينية والروسية واللغات المذكورة الأخرى في تركستان الشرقية والغربية وتركيا مع اغترابها عن اللغة العربية من ناحية وانقطاع أو ضعف الصلة فيما بينها من ناحية أخرى. ودخلت الكلمات الصينية والروسية والأوروبية في اللغة التركستانية والتركية بكثرة مع طرد الكلمات العربية مستعملة في هذه اللغات إلى أقصى حد مستطاع.

و- انقسام اللغة التركستانية الى اللغات المستقلة المنسوبة الى بلادها والمكتوبة بالأبجدية الروسية والغنية بالكلمات الروسية أخيراً، ومنها اللغة الأوزبكية والقازاخية والتركمانية والكرغيزية والكشغرية وغيرها. وإذا قال أحد انها كانت مستقلة منذ زمن بعيد فلا يمكن له أن ينكر أن اللغة العربية وأبجديتها كانتا أساسين محكمين لتوحيدها أو تقريبها فيما بينها إلى حد كبير - وكانت العربية شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

هذه نبذة من الوقائع والأحداث والحقائق التاريخية واللغوية المتعلقة بآسيا الوسطى وما ترتب عليها من النتائج. ومن هنا نعرف أهمية التاريخ اللغوي والثقافي لتحليل الحاضر وتعيين المستقبل. وإن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار.

اما حاضر اللغة العربية في آسيا الوسطى أو المنطقة الممتدة من تركستان الشرقية والغربية الى باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا فهو موضوع هام يحتاج إلى دراسة عميقة. فاللغة العربية هي لغة

القرآن والحديث ولغة العلوم والأمة الإسلامية في كل عصر ومصر. ويحتاج إليها المسلمون في كل دولة من دول هذه المنطقة لتلاوة القرآن وأداء الصلاة وللحاجات الدينية الأخرى - فلذلك تعرف أغلبية المسلمين اللغة العربية الى حد ما في باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وتركستان الشرقية. وهناك آلاف من المدارس والمعاهد الرسمية وغير الرسمية لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في دول هذه المنطقة. وبدأت العربية تنتشر على نطاق واسع بين الشعب المسلم في الدول الستة المستقلة أخيراً لتلاوة القرآن وقراءة الحديث وأداء الصلاة وللأغراض الدينية الأخرى. ولا يزال عدد المساجد والمدارس العربية الإسلامية يزداد بمرور الأيام في جميع هذه الدول. ويرغب ملايين الشعب المسلم في تعلمها في آذربيجان وأوزبكستان وتركمانيا وطاجيكستان وكرغيزيا وقزاقستان، ولا تمنع أية حكومة من حكومات هذه الدول نشر اللغة العربية بين الشعب بل ترغب فيه الى حد كبير لأسباب دينية وثقافية وسياسية وعالمية.

وإضافة الى هذا الاهتمام الشعبي المتزايد باللغة العربية فاننا نرى لها مكانة أساسية في دول هذه المنطقة على المستوى الرسمي والتعليمي مع اللغات الوطنية ونشير إليها هنا بإيجاز:

١- أفغانستان: مساحتها (٢٥٠,٠٠٠) ميل مربع ومجموع السكان فيها (١٦٤٦) مليون نسمة وعاصمتها كابل — ونالت استقلالها من بريطانيا في ١٩، أغسطس ١٩١٩م - ونجحت الثورة الإسلامية فيها بتاريخ ١٤/ابريل ١٩٩٢م^(٧).

وجعلت العربية مادة إجبارية في الصفوف الوسطى — أي الصف السابع والثامن والتاسع — في أفغانستان قبل التدخل السوفياتي فيها سنة ١٩٧٩ م. وحدث ذلك في زمن الملك ظاهر شاه نظراً إلى أهمية اللغة العربية الدينية والثقافية وكونها أم اللغات الأفغانية. وكذلك أضيفت في نفس الوقت إلى مجموعة اللغات الأجنبية — الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية — التي كان يجب على طالب الثانوية أن يختار إحداها كلغة أجنبية^(٨).

وانتشرت اللغة الروسية في مختلف المجالات لاسيما التعليم كلغة سائدة بعد التدخل السوفياتي في أفغانستان ولكن اللغة العربية احتلت مكانة أساسية مع اللغة الفارسية والبشتو بين الملايين من المجاهدين والمهاجرين الأفغان ومدارسهم الدينية والعامّة داخل أفغانستان وخارجها في باكستان وإيران.

وقد صارت العربية الآن بين اللغات الأساسية الأفغانية مع الفارسية والبشتو بعد تشكيل دولة أفغانستان الإسلامية وسيطرة المجاهدين على حكومة كابل في عام ١٩٩٢ م، فهي لغة أساسية مع الفارسية في المدارس الابتدائية والثانوية وقلما تجد زعيماً أفغانياً لا يتقن اللغة العربية نطقاً وكتابة وفهماً^(٩). وتكتب جميع اللغات واللهجات في أفغانستان بالأبجدية العربية. وتأثير اللغة العربية فيها تأثير عميق يظهر في الآف الكلمات والمصطلحات المقتبسة منها، وعلى رأسها اللغة الفارسية التي تضم في معجمها أكثر من سبعين بالمائة من المفردات العربية^(١٠). وكذلك الحال في البشتو واللغات

المحلية التي تكتب بالأبجدية العربية، ومنها اللغة الطاجيكية والأوزبكية والتركمانية وغيرها.

٢- إيران: مساحتها (٦,٤٨,٠٠٠) كيلومتر مربع وعدد سكانها (٥٩٤٨) مليون نسمة وعاصمتها طهران. ونجحت الثورة الإسلامية فيها بتاريخ أول فبراير ١٩٧٩م^(١١).

وصارت اللغة العربية لغة إيران الثانية دستورياً وفعالاً في عام ١٩٧٩م كما صرح بذلك دستور الجمهورية الإسلامية في إيران في مادته السادسة عشرة من الفصل الثاني. فجعلت منذ ذلك الحين مادة تعليمية إجبارية من الصف السابع الى الصف الثاني عشر أي في المرحلة المتوسطة.

تقول المادة الدستورية المذكورة: "بما ان لغة القرآن والعلوم والمعارف الإسلامية هي العربية وأن الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل، لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة المتوسطة في جميع الصفوف والحقول الدراسية"^(١٢).

واللغة الفارسية هي اللغة الوطنية التي تكتب بالأبجدية العربية وتضم في معجمها أكثر من سبعين بالمائة من المفردات العربية كما ذكر آنفاً - وكذلك الحال في اللغات المحلية التي تكتب كلها بالحروف العربية وتوجد فيها آلاف الكلمات والمصطلحات العربية، ومنها اللغة الآذرية والكردية والبلوشية وغيرها، كما توجد اللغة العربية نفسها كلغة الشعب الأم في منطقة خوزستان.

٣- باكستان: مساحتها (٧,٩٦,٠٩٥) كليوميتر مربع وعدد سكانها (١١٢) مليون نسمة وعاصمتها اسلام آباد، واستقلت في ١٤ من أغسطس سنة ١٩٤٧م^(١٣).

وقد أصبحت اللغة العربية لغة تعليمية إجبارية في مدارس باكستان الثانوية من الصف السادس الى الصف الثاني عشر بموجب القرار الرئاسي الصادر في عام ١٩٨٢م^(١٤).

"صدر القرار الرئاسي القاضي بجعل اللغة العربية مادة أساسية في جميع مدارس باكستان ابتداءً من الصف السادس الى الصف الثاني عشر. ويكون القرار ساري المفعول ابتداءً من ابريل ١٩٨٢م"^(١٤).

وتدريس اللغة العربية مستمر كمادة إجبارية في الصف السادس والسابع والثامن على الأقل منذ ذلك الحين - ولاتزال الحكومة تبذل محاولات لجعلها مادة إجبارية في جميع الصفوف الابتدائية والثانوية - والله الموفق.

واعترف الدستور الباكستاني المطبق في ١٩٧٣م بأهمية اللغة العربية وجعل مسئولية نشرها بين الشعب على عاتق الحكومة الباكستانية:

"على الدولة أن تبذل كل جهودها في توجيه مسلمي باكستان...
أ- بأن تجعل القرآن الكريم والعلوم الإسلامية إجبارية وان تشجع على تعلم اللغة العربية وتسهيلها، وان تساعد على طبع الكتب القيمة وعلى نشر القرآن الكريم"^(١٥).

واضيف قانون تطبيق الشريعة (١٩٩١م) الى الدستور
الباكستاني، والذي يجعل تعليم ونشر اللغة العربية من أهم واجبات
الحكومة.

"المادة السادسة (٦) "تعليم الشريعة والتربية الشرعية": سوف
تتخذ الحكومة الاجراءات اللازمة المؤثرة لنيل الأهداف الآتية:
ج- تعليم اللغة العربية^(١٦)."

واضافة إلى ذلك تكتب اللغة الأردية - لغة البلاد الوطنية -
بالأبجدية العربية ويرجع اكثر المفردات فيها إلى أصل عربى مثل
الفارسية. وكذلك الحال في جميع اللغات المحلية التي تكتب كلها
بالأبجدية العربية وتوجد فيها آلاف من الكلمات والمصطلحات
والمفردات العربية مثل الأردية والفارسية. ومنها اللغة البنجابية
والسنديّة والبشتو والبلوشية والفارسية والبراهوية والكشميرية
والشناية والبلتية وغيرها.

٤- تركيا: مساحتها (٦٩٥, ٧٨٨) كيلومتر مربع وعدد
سكانها (٥٥) مليون نسمة وعاصمتها "انقرة" وأعلنت جمهورية بعد
إلغاء الخلافة العثمانية في ٢٩ من أكتوبر ١٩٢٣م^(١٧).

ويتعلم ملايين المسلمين الأتراك اللغة العربية لتلاوة القرآن
وأداء الصلاة وللشعائر الدينية الأخرى. ثم تدرس اللغة العربية كمادة
إجبارية في آلاف المدارس الدينية الرسمية المنتشرة في جميع أنحاء
تركيا باسم "امام خطيب انستيتوت" أى "معهد الأئمة والخطباء"،

كما يتقن طلاب هذه المعاهد الأبجدية العثمانية العربية واللاتينية الجديدة للغة التركية معاً.

كما يتم تدريس آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية إلى حدما ضمن مادة الدراسات الدينية (دين درسي) الإجبارية في التعليم الابتدائي والثانوي - ثم يجب على طالب اللغة التركية في درجة الماجستير أن يختار مادة اللغة العثمانية (أي اللغة التركية القديمة المكتوبة بالحروف العربية) كما يجب عليه أن يختار إحدى اللغتين: العربية أو الفارسية كمادة أخرى مع اللغة العثمانية^(١٨).

ونظراً إلى أهمية اللغة العربية الثقافية والعالمية أضيفت مرة إلى مجموعة اللغات الأجنبية - الإنجليزية والفرنسية والألمانية - التي يجب على طالب الثانوية أن يختار إحداها كلغة أجنبية. وبدأ ذلك من العام الدراسي (١٩٨٤-١٩٨٥م) بناءً على قرار المجلس الأعلى للجامعات التركية الذي يوصى بذلك - فأصبحت العربية لغة اختيارية في مدارس وزارة التربية والتعليم التركية كالإنكليزية والفرنسية.

"صدر قرار وزير التربية والشباب التركي (وهبي ونجلر) في نيسان الماضي - والذي يقضى بضم اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية - الإنجليزية والفرنسية والألمانية - التي يجب على الطالب اختيار إحداها لتكون اللسان الأجنبي الذي يتعلمه من الإبتداء حتى نهاية التعليم الثانوي"^(١٩).

وأعلن رئيس التعليم العالي في تركيا البروفيسر احسان دوفرامجي ان اللغة العربية ستدرس في بعض الجامعات التركية خلال

العام الدراسي ١٩٨٤-١٩٨٥م، وتكون بين اللغات التي يجب على الطالب اختيار احداها خلال السنوات الجامعية. ومن الجامعات التي تدرس فيها العربية: جامعة انقرة وجامعة الشرق الأوسط وجامعة حاجي قبة وجامعة البوسفور^(٢٠).

ووصف كثير من الاقتصاديين والمؤرخين بالفائدة الكبرى التي ستعود على تركيا من جراء تطبيقه لتطوير العلاقات التركية العربية ومحاولة تحقيق التراث العلمي التركي الموجود في المكتبات التركية والمخطوط بالخط العربي^(٢١).

وعلى كل حال اعترفت تركيا - حكومةً وشعباً - بأهمية اللغة العربية كلغة عالمية واقليمية وان لم ينفذ هذا القرار إلى الآن الا قليلاً.

واضافة إلى ذلك كله كانت اللغة التركية ولاتزال تكتب بالحروف العربية منذ اكثر من ألف سنة إلى الربع الأول من القرن العشرين. وتأثير اللغة العربية فيها تأثير واسع عميق يظهر في الآف الكلمات والمصطلحات المقتبسة منها. ولا يمكن الاستفادة العلمية من تراث اللغة التركية لاسيما العثمانية القديمة الا بمعرفة القواعد والأبجدية العربية.

وتوجد اللغة العربية كلغة محلية في الحدود المجاورة لسوريا والعراق، يتحدث بها مئات الآلاف من المواطنين الأتراك كلغتهم الأم. كما ان للغة العربية تأثير واسع عميق في اللغات المحلية لاسيما الكردية التي هي لغة الملايين من الشعب في منطقة كردستان

التركية. والتي هي لغة علمية ذات المؤلفات الكثيرة بالأبجدية العربية خاصة في كردستان العراقية والإيرانية - وصار استخدام اللغة الكردية في كردستان التركية - نطقاً وكتابة - مسموحاً منذ بضع سنين^(٢٢).

٥- آذربيجان: مساحتها (٨٦,٨٠٠) كليومتر مربع وعدد سكانها سبعة ملايين نسمة وعاصمتها باكو - ويوم استقلالها ٣٠ أغسطس ١٩٩١م^(٢٣).

تقع آذربيجان بعيدة عن البلاد المسلمة الخمسة في تركستان الغربية التي كانت معها جزءاً من الاتحاد السوفياتي، كما تمتاز بأغلبية الشيعة الإثني عشرية فيها بخلاف البلاد الخمسة المذكورة ذات الأغلبية السنية الحنفية.

وتشتمل آذربيجان على جزئين - آذربيجان المستقلة والإيرانية - وتحاور إيران من دول هذه المنطقة. كما ليست بعيدة عن تركيا من الناحية الجغرافية. واللغة العربية والفارسية لغتان إجباريتان في آذربيجان الإيرانية مع كون اللغة الآذرية التركية مكتوبة بالحروف العربية قديماً وحديثاً.

ونجد اللغة الآذرية سائدة في آذربيجان المستقلة مع اللغة الروسية - نجد اللغة الآذرية مكتوبة بالحروف الروسية بدلاً من الحروف العربية بعد انضمامها الى الاتحاد السوفياتي - وانتقلت حديثاً الى الحروف اللاتينية اتباعاً لدولة تركيا. ومع ذلك لا يزال عدد المساجد والمدارس العربية الإسلامية يتزايد يوماً فيوماً في جميع أنحاء البلاد تحت إشراف الحكومة والشعب. كما يرغب ملايين من

الشعب في تعلم اللغة العربية والمبادئ الإسلامية مع الإلتقان في الأبجدية العربية للغة الآذرية ليكونوا مثل إخوانهم في آذربيجان الإيرانية لغة وديننا وثقافة.

فلذلك لابد للأمة الآذرية في دولتها المستقلة من أن تعطي اللغة العربية مكانة أساسية كلغة دينية وأقليمية وعالمية مع اللغة الآذرية على المستوى الرسمي والوطني والتعليمي بدلاً من اللغة الروسية. كما أنه لابد لها من إحياء أبجديتها العربية القديمة للإستفادة من تراث القرون الماضية ولتوحيد اللغة الآذرية في شطري آذربيجان وإعطائها مكانة أساسية على المستوى الرسمي والوطني والتعليمي ولو مع إبقاء الأبجدية اللاتينية الحديثة كإحدى الأبجديتين للغة الآذرية حتى تتوثق روابطها اللغوية مع الشعب الآذري الإيراني من ناحية ومن ناحية أخرى مع الإسلام والأمة الإسلامية الناطقة باللغة العربية في أغلبية الدول الإسلامية^(٢٤).

٦- تركستان الشرقية أو سنكيانج:

وهي منطقة الأغلبية المسلمة يسكنها عدة ملايين من المسلمين من سلالة الأوغور والقازاق والأوزبيك والكرغيز وغيرهم. وتجاور باكستان وكرغيزيا وطاجيكستان من دول آسيا الوسطى كما ذكر سابقاً. ومساحتها (٦, ١) مليون كليوميتر مربع تقريباً سدس مساحة الصين كلها وهي (٩٤٦) مليون كليوميتر مربع^(٢٥). وعاصمتها أورومجى، ومدينة كاشغر هي من مدنها القديمة المعروفة.

وحرّم شعبها المسلم من تعلم اللغة العربية والدين الإسلامي مع استبدال الحروف العربية لكتابتها الكشغرية بالحروف الصينية بعد نجاح الثورة الشيوعية الصينية في ١٩٤٩م. ولقد ظلت اللغة والأبجدية العربية والعبادات الإسلامية ممنوعة لثلاثين سنة حتى سمحت الحكومة الصينية بالحرّيات الدينية في بلادها وفي هذه المنطقة الصينية. فصار تعليم اللغة العربية مسموحاً منذ عام ١٩٧٩م. ولا يزال يتعلمها ملايين من المسلمين لتلاوة القرآن وأداء الصلاة للأغراض الدينية الأخرى. كما سمحت الحكومة بنشر نسخ القرآن والحديث مع الكتب الإسلامية الأخرى بين الشعب في هذه المنطقة. وقد سمحت الحكومة الصينية بإحياء المساجد والتعليم العربي الإسلامي فيها منذ عام ١٩٧٩م. فتوجد الآن آلاف من المساجد الصغيرة والكبيرة في جميع أنحاء هذه المنطقة الواسعة. فتوجد مثلاً خمسة آلاف من المساجد والمصليات على الأقل في مقاطعة كشغر فقط ولا تزال اللغة العربية تنتشر بين الشعب المسلم بسرعة منذ عام ١٩٧٩م.

وكذلك سمحت الحكومة بإنشاء جامعة إسلامية في أورومجي عاصمة سنكيانج قبل سنين^(٢٦). كما شجعت إرسال الطلاب المسلمين إلى باكستان والدول الإسلامية الأخرى للإلتحاق بالمعاهد والمدارس العربية الإسلامية هناك. فنجد آلاف الطلاب المسلمين مشتغلين بالدراسات العربية والإسلامية في المعاهد

والجامعات الدينية في باكستان والبلاد الإسلامية الأخرى. وعلى رأسها "الجامعة الإسلامية العالمية" في إسلام آباد - باكستان.

وعادت اللغة الكشغرية - لغة المسلمين في تركستان الشرقية - تكتب بالحروف العربية مرة أخرى بعد ثلاثين عاماً في ١٩٧٩م بدون أي تدخل من قبل الحكومة الصينية، فلا تصر الآن على كتابتها بالحروف الصينية^(٢٧). ولا تزال الكتب الإسلامية تطبع بالأبجدية العربية التي هي أبجديتها الأصلية منذ قرون. وتأثير اللغة العربية في اللغة التركية الكشغرية تأثير عميق يظهر في آلاف الكلمات والمصطلحات المقتبسة منها، ولا بد من تعلم اللغة العربية وقواعدها للإلتقان في هذه اللغة الإسلامية.

٧-١١) دول تركستان الغربية: (أوزبكستان وتركمانيا وطاجيكستان وكرغيزيا وقزاقستان)

تضم تركستان الغربية خمساً من دول الأغلبية المسلمة - وهي أوزبكستان وتركمانيا وطاجيكستان وكرغيزيا وقزاقستان. وتبلغ مساحة هذه الدول حوالي أربعة ملايين كيلومتر مربع - وأكبرها مساحة هي قزاقستان التي يقع شطر منها في أوربا، ويقارب عدد السكان في هذه الدول خمسين مليون نسمة بأغلبية المسلمين.

اسم البلاد	المساحة	العاصمة	عدد السكان	يوم الاستقلال
١) أوزبكستان	(٤٤٧,٤٠٠) كلومتر مربع	تاشقند	١٩٤٦ مليون نسمة	٣١/أغسطس ١٩٩١م
٢) تركمانيا	(٤٨٨,١٠٠) "	عشق آباد	" "	٢٧/أكتوبر ١٩٩١م
٣) طاجيكستان	(١٤٣,١٠٠) "	دوشنبه	" "	٩/سبتمبر ١٩٩١م
٤) كرغيزيا	(١٩٨,٥٠٠) "	بمشكيك (فرونزى)	٤٤٢ "	٣١/أغسطس ١٩٩١م
٥) قزاقستان	(٢٧,١٧,٣٠٠) "	الماتآ	" "	٢٥/ديسمبر ١٩٩١م
	مجموع المساحة = ٣٩٩٤,٤٠٠		مجموع السكان = ٤٨٤٨ مليون نسمة ٢٨١.	

واللغة الطاجيكية في طاجيكستان هي اللغة الوحيدة التي تختلف عن اللغات الأخرى في تركستان تماماً - فهي اللغة الفارسية أصلاً وفعلاً، كما ان اللغات الأخرى هي اللغات واللهجات التركية، ومنها اللغة الأوزبكية والتركمانية والكرغيزية والقزاقية والتي خامستها اللغة الكشغرية في تركستان الشرقية أو سنكيانج - فهذه اللغات الخمس هي أشكال مختلفة للغة التركستانية.

وكانت اللغة العربية شائعة في هذه المنطقة كلغة الدين والثقافة منذ قرون عديدة حتى صارت ممنوعة رسمياً وفعلاً بعد ثورة ١٩١٧م الشيوعية. كما صارت أبجديتها ممنوعة لكتابة اللغات المذكورة وغيرها التي كانت تكتب بحروفها منذ قرون وتأثر بها إلى حد كبير - فبقيت العربية وأبجديتها متروكتين منذ ذلك الحين إلى آخر العقد التاسع من القرن العشرين، وانحصرت في قليل من المدارس الإسلامية المسموحة رسمياً مثل "مدرسة مير عرب" في بخارى وبعض الأقسام الجامعية في آسيا الوسطى.

فلما أعيدت الحريات الشخصية والدينية إلى الشعب في أواخر الثمانينيات تحت شعار "بروسترايكا" و "غلاس نوست"

برئاسة الزعيم السوفياتي السيد ميخائيل غورباتشوف صارت اللغة العربية وأبجديتها أيضا مسموحتين غير ممنوعتين بعد سبعين عاماً تقريباً. فتوجه ملايين من الشعب المسلم إلى اللغة العربية ولايزالون يتعلمونها لتلاوة القرآن وأداء الصلاة وفهم الإسلام وكذلك لقراءة مؤلفات سلفهم المكتوبة بالأبجدية العربية. ولايزال عدد المساجد والمدارس الإسلامية يتزايد يوماً بعد يوم في هذه الدول كما تشتغل آلاف المساجد والمدارس في هذه المنطقة بنشر لغة القرآن والإسلام بين ملايين الشعب المسلم، حتى يتمكنوا على الأقل من تلاوة القرآن وأداء الصلاة باللغة العربية وحتى يتفهموا الأبجدية الأصلية للغاتهم العظيمة.

ونظراً إلى أهمية اللغة العربية من الناحية الدينية والثقافية والعالمية أعد برنامج تدريسها كلغة إجبارية منذ الصفوف الابتدائية في دول آسيا الوسطى سنة ١٩٩٠م. وذلك تحت اشراف "هيئة الشؤون الدينية" لمسلمي آسيا الوسطى^(٢٩).

وتمت عملية إستقلال الدول الخمس في آسيا الوسطى أو تركستان الغربية في ٢٥ من ديسمبر ١٩٩١م. وانضمت مع آذربيجان إلى منظمة التعاون الأقليمي (ECO) كأعضائها وكذلك انضمت آذربيجان ثم تركمانيا ثم كرغيزيا ثم طاجيكستان إلى منظمة المؤتمر الإسلامي كأعضاء لها. ومن المنتظر دخول أوزبكستان وقزاقستان فيها بعد ان شاركت في اجتماعاتها بدون العضوية. فرأى ممثلوها ان اللغة العربية هي لغة الأغلبية من الدول

الإسلامية التي يتحدث بها ممثلوها في منظمة المؤتمر الإسلامي فزادوا إيقاناً بأهميتها كلغة جديدة عالمية إضافة إلى كونها لغة دينية.

أما برنامج تدريس اللغة العربية في الصفوف الابتدائية الثانوية فلا ندري ماذا حدث به بعد إستقلال هذه الدول وبعد النزاع المستمر بين الأصوليين والعلمانيين فيها - على حدّ التعبير المعروف في المصطلحات الشائعة - وهناك كثير من الناس في هذه الدول الخمس يكرهون من يسمونهم بـ "الأصوليين" علماً بأنهم أنشط الطبقة الدينية خارج المساجد والمدارس. فليست حاجتهم إلى اللغة العربية والديانة الإسلامية أقل من المتحمسين للدين بل هم أحوج إليهما إذا أرادوا ان ينقذوا أنفسهم وشعبهم من "مخططات الأصوليين" الذين يدعون معرفة اللغة العربية والعلوم الإسلامية. فاذا أراد أحد أن يرد على أعدائه رداً عنيفاً فعليه أن يتسلح بأسلحتهم ويعادلهم لغة ومعرفة. وهذه نقطة هامة ربما لم تخطر ببال كثير من المثقفين المتنفرين من الأصوليين وبرامجهم، فخلوا الطريق للأصوليين لارواء الشعب المسلم العطشان للغة القرآن وأساس لغات تركستان، والنتيجة لاتحتاج إلى البيان. فيجب تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي كمادتين إجباريتين في التعليم الابتدائي والثانوي على الأقل كما نراها إجباريتين في أغلبية الدول المسلمة مع اختلاف انظمتها السياسية واتجاهات حكوماتها المتنوعة، ومنها برونائي دار السلام ومالديف وباكستان وأفغانستان وإيران وأكثر من عشرين دولة عربية ثم الدول المسلمة في إفريقيا وغيرها.

وكذلك ربما يخطئون أحيانا في موقفهم من الأبجدية العربية
لكتابة لغات تركستان من جديد - فليسوا بغافلين عن هذه الحقيقة
التاريخية والثقافية ان الأبجدية العربية تضم جزءاً كبيراً من تراثهم
العلمي والأدبي عبر أكثر من الف سنة - فكيف يمكن أن ينسى
الشعب المسلم هذه الحقيقة التاريخية والثقافية مع الذكريات المرة
التي لاتزال تذكرهم انهم كانوا قد أكرهوا على ترك أبجديتهم العربية
وحرموا من علومهم وآدابهم الواسعة العظيمة المكتوبة بها في بداية
القرن العشرين كما أجبروا على اختيار الأبجدية اللاتينية أولاً
والروسية ثانياً بدلاً من الأبجدية العربية لا إضافة اليها تنفيذاً لخطة
الحكومة السوفياته التي صارت الآن أجنبية تماماً. فحلت اللغة
الروسية محل اللغة العربية كما حلت الحروف الروسية محل
الحروف العربية - وقد آن الأوان للغة العربية وأبجديتها ان تحلا
مكان اللغة الروسية وأبجديتها ولو مع عدم التعرض للغة والأبجدية
الروسييتين كلغة وأبجدية ثانيتين.

وإذا قررت طاجيكستان وأمتها إحياء الحروف العربية للغة
الطاجيكية فهي تعنى بذلك انها تريد الإرتباط بماضيها الثقافي المنير
فلا بد من اتباع هذه الخطوة في الدول الأخرى ولو مع الإحتفاظ
بالأبجدية الجديدة كأبجدية ثانية. كما نرى الأبجديتين العربية
والصينية مسموحتين لكتابة اللغة التركستانية الكشغرية في سنكيانج
مع تفضيل الأبجدية العربية على الصينية. وكذلك نرى اللغة الملاوية
وبعض اللغات الأخرى مستخدمة للأبجديتين العربية واللاتينية لكتابة

هذه اللغات معاً. ونرى فعلاً إحياء الأبجدية العربية للغة الأوزبكية والقازاخية والتركمانية والكرغيزية في الدوائر الدينية والثقافية كما نجد أكثر هذه اللغات مكتوبة بالأبجدية العربية في أفغانستان وبعض الدول المجاورة الأخرى منذ أزمان بعيدة وطيلة القرن العشرين بدون أي تأثير بعملية استبدال الأبجدية العربية بالروسية داخل الإتحاد السوفياتي.

وانعقد مؤتمر إسلامي تحت إشراف الحكومة الروسية في موسكو في بداية العام ١٩٩٣م والذي شارك فيه الممثلون من أذربيجان والدول المستقلة في آسيا الوسطى - وكذلك من تاتارستان وداغستان وكراتشائي شركيسيا وغيرها من المناطق الروسية كما اشترك فيه ممثلوا ألبانيا والبوسنة والهرسك وألمانيا وبلغاريا وغيرها من البلدان الأوروبية.

وكان من المشاركين البارزين في هذا المؤتمر الدكتور رفيق قربانوف الباحث الأكبر بمجمع العلم الروسي وفضيلة الشيخ حافظ صبرى كوشي مفتي دولة ألبانيا وفضيلة الشيخ صالح ممثل "مجلس المسلمين الكبار" في البوسنة والهرسك والسيد عبدالقادر ثاقب من البوسنة والهرسك والسيد أحمد حمزة من القفقاز والشيخ عبدالله صفا مفتي تاتارستان والسيد مرتضى علي يعقوب المستشار الديني لحكومة داغستان والشيخ أحمد القاضي رئيس "النهضة الإسلامية" في داغستان، والسيد عبدالعزيز شعيب والسيد محمد قرشائي من منطقة كراتشائي شركيسيا بالاتحاد الروسي - وكذلك الشيخ عابد

خان من أوزبكستان والسيد خليل الله والسيد عبدالمنان من قزاقستان وبعض الممثلين الآخرين من دول آسيا الوسطى وغيرها مع الوافدين من البلدان العربية والإسلامية المختلفة وعلى رأسهم الدكتور عبدالله عبدالمحسن التركي المعلم والمفكر العربي الإسلامي المعروف (وزير الأوقاف السعودي حالياً). وكذلك شارك فيها البروفيسور ساجد مير رئيس جمعية أهل الحديث في باكستان الذي أخبر مواطنيه بهذه التفاصيل فكتب مقالاً موجزاً وجامعاً عن المؤتمر فجزاه الله خير الجزاء.

واتفق المشاركون في هذا المؤتمر على التوصيات والقرارات التالية بالنسبة للشؤون الدينية والثقافية واللغوية والتي على رأسها نشر اللغة العربية وأبجديتها بين الشعب المسلم في آسيا الوسطى ومناطق المسلمين داخل روسيا وكذلك في الدول الأوروبية الأخرى (والجدير بالذكر قبل ذلك أن اللغة العربية كانت لغة التحدث الأساسية مع اللغة الروسية في هذا المؤتمر).

ودعا المؤتمر جميع الحكومات الإسلامية وكذلك الجماعات والمعاهد الدينية في العالم الإسلامي إلى الإعتناء بنشر التعليم الإسلامي والقيم الإسلامية بين مسلمي الإتحاد السوفياتي سابقاً وكذلك في أوروبا الشرقية - وأكد المؤتمر الاهتمام بسد الحاجات التالية في هذا الصدد:

(١) إنشاء المدارس والمعاهد التعليمية في هذه الدول، ومساعدة المعاهد الموجودة مع تقديم المعلمين والكتب الدراسية لها.

(٢) استخدام الأدوات السمعية والبصرية لنشر تعليم اللغة العربية ومحاولات إحياء ونشر الأبجدية العربية لكتابة جميع اللغات في هذه الدول.

(٣) إرسال البعثات الإسلامية من الدول المختلفة إلى هذه البلاد وإلقاء الضوء على مجالات الإسلام المتنوعة في المساجد وغيرها من الأماكن باللغة العربية وبمساعدة المترجمين إلى اللغات المحلية.

(٤) الاهتمام بطبع الترجمة والتفسير للقرآن الكريم باللغات المحلية مع طبع المؤلفات حول المواضيع الإسلامية المختلفة باللغة الروسية واللغات المحلية.

(٥) اشتراء الأوقات من برامج الإذاعة المرئية والمسموعة لتقديم البرامج الإسلامية وتبليغها إلى الشعب.

(٦) تأسيس المجلس الدائم وأمانته العامة لتحقيق هذه الأهداف المذكورة (٣٠).

وتدل هذه التفاصيل كلها على أهمية وانتشار اللغة العربية وأبجديتها في دول آسيا الوسطى وغيرها. فيجب تدريس هذه اللغة كلغة أساسية في جميع الصفوف الابتدائية والثانوية في هذه الدول، كما يجب اختيار الحروف العربية لكتابة جميع اللغات التركستانية ولو كان ذلك مع الإحتفاظ بالأبجدية الروسية أو اللاتينية كأبجديتها الثانية لحقبة من الزمان. كما أنه لا مانع لدى هذه الدول من جعل

اللغة العربية لغتها الرسمية والوطنية المشتركة بدلاً من اللغة الأجنبية الروسية وإضافة إلى لغاتها الوطنية.

وإذا نظرنا الآن إلى اللغات المعروفة الشائعة في دول هذه المنطقة رأينا أن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تستطيع أن تكون لغة مشتركة بين الناطقين باللغات الوطنية والمحلية والأجنبية العديدة المختلفة في هذه الدول ولعل حاجة هذه الدول إلى اللغة العربية أكثر من حاجة الدول العربية والإسلامية الأخرى إليها. ويسهل علينا إدراك هذه الحقيقة الواضحة إذا نظرنا إلى الجدول التالي الذي يوضح اللغات الشائعة في الدول المذكورة للضرورات الدينية والتعليمية والعالمية والمحلية وغيرها.

اللغات الشائعة في دول آسيا الوسطى:

- (١) باكستان: اللغة العربية والأردية واللغات المحلية والإنجليزية.
- (٢) أفغانستان: اللغة العربية والفارسية والبشتو واللغات المحلية و(الروسية/ الإنجليزية/ الفرنسية/ الألمانية).
- (٣) طاجيكستان: اللغة العربية والفارسية الطاجيكية والروسية.
- (٤) إيران: اللغة العربية والفارسية واللغات المحلية و(الفرنسية/ الإنجليزية).
- (٥) آذربيجان: اللغة العربية والتركية الآذرية والروسية.

(٦) تركيا : اللغة العربية والتركية و (الألمانية/ الفرنسية/ الإنجليزية).

(٧) سنكيانج أو تركستان الشرقية: اللغة العربية والتركتانية الكشغرية والصينية.

(٨) أوزبكستان: اللغة العربية والتركتانية الأوزبكية والروسية.

(٩) قزاقستان: اللغة العربية والتركتانية القزاقية والروسية.

(١٠) تركمانيا: اللغة العربية والتركتانية التركمانية والروسية.

(١١) كرجيزيا: اللغة العربية والتركتانية الكرجيزية والروسية.

الأبجديات الشائعة في دول آسيا الوسطى لكتابتها قديماً أو حديثاً:

(١) باكستان: الأبجدية العربية فقط.

(٢) أفغانستان: الأبجدية العربية فقط.

(٣) طاجيكستان: الأبجدية العربية واللاتينية الروسية.

(٤) إيران: الأبجدية العربية فقط.

(٥) آذربيجان: الأبجدية العربية واللاتينية الروسية.

(٦) تركيا: الأبجدية العربية العثمانية واللاتينية.

(٧) سنكيانج أو تركستان الشرقية: الأبجدية العربية والصينية.

(٨) أوزبكستان: الأبجدية العربية واللاتينية الروسية.

(٩) قزاقستان: الأبجدية العربية واللاتينية الروسية.

(١٠) تركمانيا: الأبجدية العربية واللاتينية الروسية.

(١١) كرجيزيا: الأبجدية العربية واللاتينية الروسية.

ومن ألقى نظرة عابرة على اللغات الشائعة في دول آسيا

الوسطى تبينت له النقاط التالية:

أ- إن اللغة العربية لغة دينية مشتركة بين جميع الدول المذكورة في آسيا الوسطى يتعلمها ملايين الشعب في كل دولة منها لتلاوة القرآن وأداء الصلاة وللحاجات الدينية الأخرى.

ب- إن اللغة العربية هي لغة أساسية في آلاف المدارس والمعاهد الإسلامية المنتشرة في دول آسيا الوسطى أو دول "ECO" كلها.

ج- إن اللغة العربية لغة إجبارية في المدارس الرسمية العامة في كثير من هذه الدول كما أنها مادة إختيارية هامة مع كونها جزءاً من مادة الدين الاسلامي في مختلف الدول. فهي لغة إجبارية في المدارس الرسمية العامة مع اللغات الوطنية في أفغانستان وإيران وباكستان على الأقل والتي يبلغ عدد سكانها مائتي مليون نسمة أي ثلثي عدد مجموع السكان في جميع هذه الدول المذكورة.

د- إن اللغة العربية هي اللغة العالمية الوحيدة الشائعة في جميع هذه الدول. فنجد اللغة العربية والإنجليزية والفرنسية والروسية والصينية شائعة كلغات عالمية معترف بها في هيئة الأمم المتحدة كلغاتها الرسمية. وهي ست لغات مع إضافة اللغة الأسبانية إلى اللغات الخمس المذكورة آنفاً. فنجد اللغتين العربية والروسية العالميتين موجودتين في دول

تركستان الخمس الغربية وأذربيجان كما نجد اللغة العربية مع الإنجليزية في باكستان ومع الإنجليزية أو الفرنسية في إيران وتركيا. وكذلك في أفغانستان بإضافة اللغة الروسية إليها - ثم نجد اللغة الألمانية كلغة أجنبية اختيارية في بعض الدول - وكذلك نجد العربية مع الصينية في سنكيانج. فاللغة العربية هي لغة عالمية مشتركة وحيدة نجدها في جميع هذه الدول بخلاف لغات الأمم المتحدة الأخرى التي نجد بعضها في جميع هذه الدول.

وإذا نظرنا إلى الأبجديات الشائعة في دول آسيا الوسطى نجد الأبجدية العربية الأبجدية المشتركة الوحيدة من بين الأبجديات الشائعة في هذه الدول قديماً وحديثاً كما نجدها الأبجدية الوحيدة قديماً وحديثاً. لكتابة جميع اللغات الوطنية والمحلية في أفغانستان وإيران وباكستان والتي تضم ثلثي مجموع السكان في دول هذه المنطقة إضافة إلى وجودها في الدول الأخرى قديماً وحديثاً.

ولذلك كله يجب على دول آسيا الوسطى أن تختار اللغة العربية كلغتها الرسمية والوطنية والعالمية المشتركة مع الاحتفاظ بلغاتها الوطنية والمحلية والعالمية الأخرى.

وكذلك يجب على جميع هذه الدول أن تختار الأبجدية العربية كأبجديتها المشتركة - قديماً وحديثاً - لكتابة جميع لغاتها ولو مع الاحتفاظ مؤقتاً أو دائماً بالأبجديات الأخرى الشائعة فيها لكتابة لغاتها.

وبذلك سوف ترتبط هذه الدول بأغلبية الدول الإسلامية في العالم الإسلامي المشتمل على أكثر من خمسين دولة إسلامية تحتل في أغلبيتها اللغة العربية وأبجديتها مكانة أساسية على المستوى الرسمي والوطني والشعبي أو التعليمي — وهى لغة عالمية وحيدة تتعلق بالدول العربية والإسلامية والإفريقية بأجمعها — وهى كثيرة الفوائد من الناحية الدينية والعالمية والثقافية والوطنية والمحلية.

وليس بصعب اختيار العربية وأبجديتها رسمياً. وكان أصعب من ذلك جداً اختيار "إسرائيل" للغة العبرانية الميتة بعد قرون والتي لم تعرفها حق معرفتها في "إسرائيل" والعالم كله إلا نبذة قليلة مختارة من اللغويين وعلماء الدين والمثقفين. والعربية بخلاف ذلك لغة حية لمئات الملايين من العرب ومليار مسلم في مشارق الأرض ومغاربها كما هي لغة عالمية عظيمة مألوفة عند الشعب المسلم كلغة القرآن والإسلام منذ أزمان بعيدة في آسيا الوسطى وفي العالم كله.

وإذا كانت اللغة الروسية استطاعت أن تحل محل اللغة العربية واللغات الأخرى في بداية القرن العشرين فكيف لاتستطيع اللغة العربية أن تعود إلى مكانتها مرة أخرى.

وإذا كانت الأبجدية الروسية استطاعت أن تحل محل الأبجدية العربية لكتابة لغات الأتراك فكيف لا تستطيع الأبجدية العربية أن تعود إلى مكانتها الماضية مرة أخرى كما عادت إليها في تركستان الصينية حديثاً.

وأملنا كبير في أن تختار اللغة العربية وأبجديتها كلغة
وأبجدية مشتركة في جميع الدول الأعضاء في منظمة التعاون
الأقليمي (ECO) الممثلة لدول آسيا الوسطى كلها، لأن مسلمي هذه
الدول - حكومةً وشعباً - يحبون اللغة العربية وأبجديتها القرآنية منذ
أزمان بعيدة. وبالله التوفيق.

هوامش

- ١- يوسف ماردين، التركية المحلية، لندن، ١٩٧٦م، ص ١.
- Yousaf Mardin, Colloquial Turkish (Revised Edition), London, Henley & Boston, Routledge & Kegan Paul, 1976, P. 1.
- ٢- مجلة اللسان العربي (للمنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم) الرباط، العدد ٢٠، ١٩٨٣م، ص ٣٧٩.
- ٣- راجع للتفصيل: الدكتور إحسان حقي: باكستان ماضيها وحاضرها، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص ٤٢.
- وراجع أيضا جامعة بنجاب بلاهور: تاريخ آداب المسلمين في باكستان والهند (باللغة الأردية)، المجلد الثاني (الأدب العربي)، مطبعة المكتبة العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، ص ٦٣ و٦٧.
- ٤- راجع مقال البروفيسور ساجد مير: ماوراء النهر (در يائے آموکے اس پار) (الجزء الثاني) في جريدة "باكستان" "اليومية" (ملحق أسبوعي)، بتاريخ ٥ من مارس ١٩٩٣م، ص ١١ (رواية عن السيد أحمد القاضي رئيس النهضة الإسلامية في داغستان).
- ٥- آباد شاه بوري: الشعوب الإسلامية بالاتحاد السوفياتي (روس ميس مسلمان قومين)، لاهور، إسلامك بليكيشنز لميتد، نوفمبر ١٩٧٦م، ص ٢٧٥.

- ٦- نفس المرجع، ص ٢٧٧.
- ٧- راجع صحيفة "خبرين" (الأخبار) اليومية، لاهور، ٢٨/ من نوفمبر ١٩٩٢م، طبعة خاصة بمناسبة "مؤتمر وزراء الخارجية للدول الأعضاء في منظمة التعاون الإقليمي (ECO) المنعقد في إسلام آباد (٢٨-٢٩ نوفمبر ١٩٩٣م).
- ٨- هذه المعلومات مأخوذة عن بعض الباحثين الأفغان، لاسيما الدكتور عبد العلي سرشت.
- ٩- هذه المعلومات مأخوذة من بعض الباحثين الأفغان.
- ١٠- دكتور محيي الدين: قضايا نشر اللغة والثقافة العربية الإسلامية في الخارج في مجلة "اللسان العربي"، الرباط (نصف سنوية)، العدد ٢٠، ١٩٨٣م، ص ٩.
- ١١- راجع صحيفة "خبرين" (اليومية) لاهور، ٢٨ من نوفمبر ١٩٩٢م (ملحق خاص عن دول "ECO").
- ١٢- وزارة الإرشاد الإسلامي، دستور جمهورية إيران الإسلامية، طهران، ١٤٠٣هـ، ص ٢٧، (الفصل الثاني والمادة السادسة عشرة).
- ١٣- راجع صحيفة "خبرين" (اليومية)، لاهور، ٢٨/ من نوفمبر ١٩٩٢م (طبعة خاصة عن دول "ECO").
- ١٤- الدكتور محمود عبدالله، اللغة العربية في باكستان، إسلام آباد، وزارة التعليم الفيدرالية، ١٩٨٤م، ص ١٤٦.
- ١٥- الدكتور إحسان حقي، باكستان ماضيها وحاضرها، بيروت، دار النفائس، (الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٨٣م، ص ٣٦٥ (نقلًا من الدستور الباكستاني).
- ١٦- دستور الجمهورية الإسلامية في باكستان (١٩٧٣م) قانون تطبيق الشريعة ١٩٩١م، المادة السادسة.
- ١٧- راجع صحيفة "خبرين" (اليومية) لاهور، ١٨/ من نوفمبر ١٩٩٢م، (طبعة خاصة عن دول "ECO").
- ١٨- معظم المعلومات مأخوذة من السيد جيهان أوزدمير محاضر اللغة التركية بجامعة بنجاب سابقا.
- ١٩- مجلة "اللسان العربي" (نصف سنوية) العدد ٢٠، ١٩٨٣م، ص ٣٧٨.
- ٢٠- مجلة "الإصلاح" الأسبوعية، دبي، العدد ٨١، نوفمبر ١٩٨٤م، ص ٢٣.

- ٢١- نفس المرجع ونفس الصفحة.
- ٢٢- معلومات شخصية ومأخوذة عن بعض الباحثين الأتراك.
- ٢٣- راجع صحيفة "خبرين" (اليومية)، لاهور، ١٨/ من نوفمبر ١٩٩٢م، (ملحق خاص عن دول "ECO").
- ٢٤- هذه المعلومات مأخوذة عن المصادر المختلفة.
- ٢٥- راجع شي ون: "الصين - دراسة عامة" (پچين: ايڪه عام جائزه) بيچنك، دار الطباعة باللغات الأجنبية، ١٩٨٤، ص ٣.
- ٢٦- راجع للتفصيل: المقال المطبوع في مجلة "عريبيا" الإنجليزية، لندن بعنوان "النزاع لجذب القلوب والأذهان في آسيا الوسطى"،
(The battle for hearts and minds in the heart of Asia)
والذى نشرته صحيفة "نوائے وقت" (اليومية)، لاهور، ١٤/ من ديسمبر ١٩٨٤م.
- ٢٧- نفس المرجع.
- ٢٨- راجع صحيفة "خبرين" (اليومية)، لاهور، ٢٨/ من نوفمبر ١٩٩٢م، (ملحق خاص عن دول "ECO") وراجع ايضا مجلة "أردو دائجست"، (الشهرية)، لاهور، أكتوبر ١٩٩١م، ص ٨٦، (مقال السيد ادريس الصديقي، النظام العالمي الحديد أو العالم الاسلامي الجديد).
- ٢٩- رواية المفتي صادق، رئيس هيئة الشؤون الدينية لمسلمي آسيا الوسطى في طاشقند، متحدثاً إلى مسئولى أكاديمية الدعوة بالجامعة الاسلامية العالمية في إسلام آباد أثناء زيارته لباكستان في يونيو ١٩٩٠م.
- ٣٠- البروفيسور ساجد مير: ماوراء النهر (دریائے آمو کے اس پار)، الجزء الثاني، طبع في ملحق أسبوعي لجريدة "باكستان" اليومية، لاهور، ٥/ من مارس ١٩٩٣م، ص ١١.

